



نظرة الى فيلم

# "إلى أين تذهبين يا أيذا؟"

(دهشة لانهاية لها)

■ بقلم: الدكتورة ستاره كدخدائي، دكتوراه في اللغة الفارسية وآدابها، جامعة طهران

"إلى أين تذهبين يا أيذا" فيلم من تأليف وإخراج "ياسمينا جبانيك" وهو من إنتاج البوسنة والهرسك، وهو دراما مرعبة تتطرق بنظرة واقعية الى مذبحه اللاجئين البوسنيين المشردين في سربنيستا. وقد تم ترشيح هذا الفيلم لجائزة الأوسكار كأفضل فيلم بغير اللغة الإنجليزية لعام ٢٠٢١ وحصل على العديد من الجوائز على المستوى الدولي.



بكلمة واحدة، ان فيلم -إلى أين تذهبين يا أيدا-؟ يجب أن يسمى بفيلم (الدهشة) دهشة أيدا، الروح الأثوية في العالم، التي أذهلتها وحرقتها الحرب والقتل والمجازر والإبادة الجماعية والأكاذيب والخداع والقسوة.

### ● قصة الحرب المرة

مرت مدينة ( سربرنيستا ) بفترة ميرة في عام ١٩٩٥ عندما ألفت الحرب القاسية بظلالها على هذه المدينة. فالمجازر الوحشية التي ارتكبتها الصرب بحق الناس المدنيين، وخاصة المسلمين، وتشريد الآلاف من الأبرياء الذين لاملجأ لديهم، خلق صورة متكررة لقسوة البشر من ذوي القلوب الشبيهة بالحجر، بحيث تم اعتبار عمق الكارثة بعمق كارثة الحرب العالمية الثانية.

ويبدو الأمر كما لو أن هذه الحقيقة المرة لطموح القدرة والجشع قد تم رسمها على جبين الإنسان، ومن المدهش أن يضطر الإنسان دائماً إلى ان يلعب أحد هذين الدورين: الظالم أو المظلوم. وإذا كانت ذريعة لعب دور الطاغية الظالم، سواء الطموح بالقدرة والقوة والرغبة في السلطة أو صراعاً على المعتقد أو العرق، أيا كانت، فالحرب معركة خاسرة وتداعياتها فقدان الإنسانية والنزول إلى مرحلة الدمار والإنحطاط.

### ● الدراما الروائية / سحر البطل

في المعركة التي كان قد اعلنها الصرب ضد الشعب، كان قد تم اعتبار سربرنيستا منطقة آمنة من قبل الأمم المتحدة، وكان من المفترض أن يحمي الجنود الهولنديون هذه المنطقة المحمية الأمنية، لكن في الواقع لم يحدث هذا الأمر وتم رواية قصة الفيلم في إطار أجواء هذا المخيم.

بطلة القصة هي إيدا، امرأة مترجمة تتمتع بالخلق والتربية. وكانت طيلة أحداث الفيلم، تقوم بالترجمة في منطقة سربرنيستا الآمنة، وهي في الواقع تشكل المحور الأصلي للقصة، وجهود هذه المرأة تهدف إلى إنقاذ زوجها وولديها من أيدي الصرب. وفي الوقت الذي كان عليها أن تدافع عن مصالح شعبها، كانت تؤدي أيضاً دور الوسيط للأمم المتحدة والقوات الصربية والجيش الهولندي. وفي خضم الاضطرابات والفوضى، تصبح بطل حياة أسرته وبعبارة أخرى تظهر في دور المنقذ. المنقذ الذي يبذل قصارى جهده لاتخاذ خطوة من أجل السلام في حدود قدرته. خطوة للتخفيف من معاناة الحرب. من هنا تخرج من اطار شعار البطل بمعناه الكبير وعندما لا تصل جهودها الانسانية لصالح اهالي مدينتها إلى النتيجة المرجوة تفكر في انقاذ عائلتها حتى لو ذهب مساعيها سدى وخرجت في نهاية القصة خالية الوفاضين.

اما راتعة صناعة الشخصية في هذا الفيلم فقد نبض بالحياة بدورها، وذلك من خلال تقديم صورة حقيقية لامرأة نشطة وقوية، حيث نرى في نفس الوقت في هذه الشخصية ذروة روح التضحية وحنان العقل والروح الأثوية فيها معاً.

والمخرجة تقوم برؤية معتدلة بعرضها كمنقذ، وفي نفس الوقت إلى جانب تصويرها كشخصية تسعى لتحقيق تطلعاتها الاجتماعية، تبينها بأنها بطلة مستقرة في حياتها الشخصية أيضاً، لتؤكد على أهمية الأسرة ووجود المرأة كعضو مهم في هذه المؤسسة الاجتماعية. امرأة لا يضاهاها رجل حياتها في سلوكها وكلامها؛ ويبدو أنه عليها هي بالذات أن تتحرك من اجل انقاذ الآخرين فهي ملاك الخلاص والنجاة من عاصفة الموت.

وقد تعمد المؤلف في قلب السيناريو ان يكون المنقذ في القصة امرأة، المرأة التي تتجه إليها منذ المقاطع الأولى للفيلم الانظار القلقة للرجال. وهي نفس المرأة التي لن تتوقف ولن تفقد الأمل في الحياة الاجتماعية وفي طريقها لإنقاذ أهل مدينتها. وحتى في اللحظات الأخيرة من القصة، عندما تفقد عائلتها، لا تفقد الأمل بل تعود إلى عملها كمدرسة لتربية الأطفال الذين هم من الجيل المتبقي من أيام الحرب، لكن (أيذا) لا يزال لديها أمل في العيش في عالم خالٍ من الكراهية والحرب وتحاول إبقاء ضوء الأمل الخافت مضاءً وساطعاً.

### ● سحر الصورة / مهمة الفيلم

بكلمة واحدة، ان فيلم -إلى أين تذهبين يا أيدا-؟ يجب أن يسمى بفيلم (الدهشة) دهشة أيدا، الروح الأثوية في العالم، التي أذهلتها وحرقتها الحرب والقتل والمجازر والإبادة الجماعية والأكاذيب والخداع والقسوة. والمخرجة أيضاً تلتقط بذكاء الهدوء الذي يسبق العاصفة في إطار... (لقطة نظرة عائلة -أيذا- الأولى إليها) وتحافظ على نفس الذكاء في منتصف القصة حتى النهاية (الأساس المتتالي، الجري اللامتناهي)، العثور على جثث أفراد الأسرة، عداوة الصداقة وصداقة العدو في مشهد حضور الضابط الصربي بين جمهور قاعة المسرح. والشخص المشاهد سواء كان على علم بهذا الحدث التاريخي أم لا، فإنه يشعر بالعمق الرهيب للحدث في إطار السينما. بالفيلم يأخذ بيد المشاهد ويظهر له خطوة بخطوة قباحة وقذارة الحرب. والفيلم لا يقدم المواعظ على الإطلاق، لكنه يحمل فكرة تغيير العالم، تغيير العالم الذي يكون فيه السلام طائراً يجلس على

أجنحة أهاليه وناسه؛ وليس مجرد حركة مسرحية في أيدي الأطفال في المشهد النهائي للفيلم. وقد استفادت المخرجة في الواقع من كل اساليب وفنون التصوير: من حركة الكاميرا إلى الأجداب والارتباط مع القصة، إلى الاختيار الجيد للممثلين، وتطابق الحدث التاريخي مع المشاهد، ووضعت كل شيء في خدمة الموضوع الرئيسي للفيلم ومضمونه وهو العرض المرير للعنف وبشاعة الحرب، والأمل بعالم بلا حرب. ويستخدم الفيلم وعرضه للمشاهدين كأداة ووسيلة لأخذ العبر ليهمس بالصراخ للمرة الألف في آذان البشرية الصماء بأن (السلام أفضل من الحرب والحكم). والحقيقة ان فن المخرجة وقوتها تتضح جليا في الكثير من اللقطات والمشاهد. وكل شيء بالنسبة لها مهم حيث اختارت وصممت كل شيء ليكون مؤثرا. من الشخصيات الثانوية والحوارات المهمة كلها وضعت في خدمة الفيلم ورسالته.

وقد حافظت "ياسمينا جانتش" على روحها الفنية والأثوية في تصوير أحداثها الدرامية. على سبيل المثال، حيث نلاحظ انها قامت بتصوير مشهد المجزرة (القتل الجماعي للأشخاص) التي تم ارتكابها في احد المخازن الكبيرة المسقفة (الجمالون)، فقط عبر ماسورة البنادق للتقليل من قبح هذا العمل القبيح، وفي نفس الوقت تصور عمق الكارثة والألم والمأساة، أو المشاهد المؤلمة الأخرى مثل البحث عن ناجين بين الجثث التي خلفتها المقابر الجماعية التي تعتبر من المشاهد المرعبة للغاية.

ويمكن مشاهدة موضوع اندلاع الحرب وانعدام الأمن في مدينة سربرنيستا، وعرض الطموح للسلطة والسعي وراء القوة في وجود الشخصيات السلبية السوداء في الفيلم، وقلق أيذا وقلقها على زوجها وأولادها، واشتباك خيوط حدود الصداقة والعداوة مع بعضها البعض في اطار المحادثات التي تجري بين الجنود وأيذا، من جهة أخرى نلاحظ ان حالة الخوف من المصير المجهول. والخوف والقلق من الجوع والصراع بين الحياة والموت كلها مقاطع حقيقية من حياة الأيام التاريخية لمدينة سربرنيستا، تم ترتيبها معاً إلى جانب بعضها البعض في هذا الفيلم بإيقاع مناسب، حتى يدرك الانسان بالتالي إلى أي مدى يمكن للإنسان أن يبتعد عن انسانيته فيتك هذا الأمر تأثيره على الانسان والمشاهد فيتمنى من أعماق وجوده أن يأتي يوماً يتفوق فيه الانسان ويتنصر على الحرب وليس (في الحرب).